(٣٧)

السَّمِيعُ ﷻ

في الوقت الذي يريدك الله أن تعلم: أنه على العرش استوى، يريدك أن تتيقن: أنه يسمعك ويراك؛ يسمع كلماتك، ويرى أفعالك، لا تخفى عليه منك خافية، يسمع مناجاتك ونداءك له، خواطرك مكشوفة، ودعاؤك مسموع، وطلبك ملبى، واستغفارك مجاب، وتوبتك مقبولة.

فهل حطمتك الأوجاع؟ هل روحك تئن شوقًا إلى ربها؟ فالله يسمع أنينك، وهو أقرب إليك من حبل الوريد؛ يجيبك، يكشف غمك، يفرج همك.. إنه هو السميع العليم.

قال ﷻ مثنيًا على نفسه: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾[البقرة:١٣٧].

ورد اسم الله: (السميع) في كتابه العزيز في خمسة وأربعين موضعًا.

فربنا ﷻ سميع؛ أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها؛ سرها وعلنها، وكأنها لديه صوت واحد، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات، والقريب منها والبعيد والسر والعلانية عنده سواء، قال ﷻ: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ

ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ [الرعد: ١٠].

واشتراك المخلوق مع الخالق ﷻ في هذا الاسم لا يعني: المشابهة -تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا!-؛ لأن صفات المخلوق تناسب ضعفه وعجزه وخلقه، وصفات الخالق تليق بكماله وجلاله ﷻ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ [الشورى:١١].

فالسمع هنا يأتي بمعنى: السمع والإحاطة، ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ [المجادلة:١]، ويأتي بمعنى: الاستجابة والقبول: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ [إبراهيم:٣٩].

وَهُوَ السَّمِيعُ يَرَى وَيَسْمَعُ كُلَّ مَا
فِي الكَوْنِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلاَنِ
وَلِكُلِّ صَوْتٍ مِنْهُ سَمْعٌ حَاضِرٌ
فَالسِّرُّ وَالإِعْلاَنُ مُسْتَوِيَانِ
وَالسَّمْعَ مِنْهُ وَاسِعُ الأَصْوَاتِ لاَ
يَخْفَى عَلَيْهِ بَعِيدُهَا وَالدَّانِي

❐ إنه سميع قريب:

جاء في «الصحيحين»: أن رسول الله ﷺ سمع الصحابة ﷺ يدعون ربهم بأصوات مرتفعة؛ فقال ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ! ارْبَعُوْا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُوْنَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُوْنَ سَمِيعًا بَصِيرًا»، وبمجرد أن ينتهي العبد من مناداته ومناجاته فإذا بالإجابة تلوح.. لأنه السميع العليم.

يسمع نداء المضطرين، ويجيب دعاء المحتاجين، ويعين الملهوفين، ويسمع حمد الحامدين، ويسمع دعاء الداعين، وَيَسْمَعُ دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويسمع خطرات القلوب، ويسمع هواجس النفوس، ويسمع مناجاة الضمائر.

تأتي امرأة تجادل في زوجها عند رسول الله ﷺ -وهي: خولة ﷺ-، وعائشة ﷺ في طرف البيت تقول أنها تسمع كلمةً وتغيب كلمة، وبعد ذلك الجدال ينزل جبريل ﷺ على محمد ﷺ بقوله ﷻ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾[المجادلة:١]، يا له من قرب عجيب، وعلم عظيم، وسمع محيط!

سمعُ الله لأوليائه: سمع إجابة وحفظ وتوفيق، سمع يهدئ من روعهم كما هدأ من روع موسى ﷺ عندما أعلن خوفه من الذهاب إلى فرعون، فقال له ﷻ: ﴿لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾[طه: ٤٦].

الله حاميهم، والله حسيبهم؛ وكفى به حسيبًا!

❐ مفاتيح الفرج:

إذا صفعتك المخاوف، وادلهمَّت عليك الخطوب؛ فتوسل إلى ربك بهذا الاسم العظيم؛ كما توسل الأنبياء ﷺ به، فهو الذي يسمع المناجاة، ويجيب عند الاضطرار، ويكشف السوء.. فلا تسمع همك لأحد، انطرح عنده ساجداً، أنخ مطاياك ببابه، وتحدث إليه وابك بين يديه، ثم انتظر الفرج.

زكريا ﷺ يعطيه الله ما في قلبه بعد أن ناداه سرا؛ ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾ [مريم:٣]، فيهب له الذرية الصالحة؛ بعد تضرعه باسمه: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۝٣٨﴾[آل عمران:٣٨].

إبراهيم ﷺ يسأل الله بهذا الاسم أن يتقبل عمله؛ حين أنهى هو وابنه إسماعيل ﷺ بناء الكعبة: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٢٧﴾[البقرة:١٢٧].

وبهذا الاسم المبارك إبراهيم ﷺ يشكر الله على استجابة دعائه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۝٣٩﴾[إبراهيم:٣٩].

وبهذا الاسم تتقرب امرأة عمران إلى ربها بقبول عملها؛ حين نذرت ما

في بطنها: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾[آل عمران:٣٥].

ضاقت الدنيا بيوسف عليه السلام من مكايد الفساد حوله؛ فدعا ربه: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [يوسف:٣٣-٣٤].

يونس عليه السلام في بطن الحوت ينادي: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾[الأنبياء:٨٧]، فكان الصوت الضعيف المنطلق من الظلمات الثلاث يخترق السماء، فإذا بالسميع العليم ﷻ ينجيه من الغم: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾[الأنبياء:٨٨].

والله ﷻ يبتلي عبده ليسمع شكواه وتضرعه ودعاءه، قال ﷺ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[يوسف:٨٦].

❐ السميع يحفظك..

تجتمع عليك شياطين الإنس والجن؛ فيأخذون بالوسوسة والقهر حتى تصاب بالهم والحزن، فيأمرك الله بالاستعانة به والاستعاذة به منهم باسميه: (السميع العليم)؛ ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ

﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾[الأعراف:٢٠٠].

يجتمع عند البيت قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي؛ فيقولون عن الصحابة: كثيرة شحوم بطونهم، قليل فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟

قال الآخر: يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا.

وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا؛ فإنه يسمع إن أخفينا! فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[فصلت:٢٢-٢٣].

ذكرى..

وكان نبينا ﷺ يستعيذ بهذين الاسمين: (السميع العليم) إذا قام لصلاة الليل؛ فيقول: «أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ»[حديث صحيح. رواه أبو داود].

وتعوذ ﷺ بالاسمين: (السميع العليم) من كل ضرر يصيبه: «مَنْ قَالَ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ، فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ؛ لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلاَءٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلاَثُ مَرَّاتٍ؛ لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلاَءٍ حَتَّى يُمْسِيَ»[حديث صحيح. رواه أبو داود].

واستشعارك لهذا الاسم (السميع) يجعلك في قرب دائم منه ﷻ.

اللهم يا سميع.. يا عليم! اجعلنا ممن دعاك فأجبته، وتضرع إليك فرحمته.